الحلم الصهيوني قائم على أنقاض القرية العربية التي ترمز الى مأساة الشعب العربي الفلسطيني الناتجة عن تحقيق الحلم الصهيوني . وليس صدفة أيضا ان يكون موضوع اطروحة الطالب «الحروب الصليبية» التي تحمل شيئا من التشابه التاريخي بين الماضي والحاضر .

لم يكن الطالب الاسرائيلي وحيدا في الغابة أو الحرش . هناك فلاح عربي سابق قطعوا لسانه في الحرب « نحن أم هم ، هذا لا يغير شيئا » وقد بقي العربي مع انقاض قريته يعمل عاملا في الغابة ومعه طفلة صغيرة . الثلاثة يقيمون في مكان واحد ، بلا مبالاة في البداية ثم بتوتر متصاعد — على خلفية أشجار السرو الصغيرة ولافتات تحمل أسماء المتبرعين اليهود المحترمين « لويس شفارتس من شيكاغو » ، « ملك بوروندي » ، وفود رسمية ، سياح ، وزوار . يشعر الطالب بأن مشيتهم الاحتفالية في الغابة تشبه قافلة من الصليبيين . تقول احدى الزائرات : نريد أن نسأله سؤالا بسيطا . نريد أن يبت في الامر . أين تقع بالضبط القرية العربية المشار اليها على الخارطة ؟ من المفروض أن توجد هنا في المنطقة قرية عربية مهجورة . ينظر اليهم الطالب — الحارس بدهشة . قرية ؟ كلا . لا توجد هنا قرية . الخارطة على خطأ .

كان الطالب ، في البداية ، يقضي الليل والنهار بحثا عن علامات حريق في الغابة . يجرب صفارة الانذار . يراقب حركات العربي ويشك في أنه يعد عملية انتقام . ثم يتضح تدريجيا أن الطالب — الحارس يريد أن تندلع النار في الغابة . لقد حاول ذلك بالنفط الذي أحضره العربي لهذا الغرض . ولكن المحاولة تفشل . ومنذ تلك اللحظة أصبحت علاقتهما وثيقة . الطالب يحدث العربي الشيخ عن تاريخ الحملات الصليبية . والعربي الابكم يصدر أصواتا وحشية ويجيب بحركات يديه . « يريد القول ان بيته هنا وقريته هنا . وقد أخفوا كل شيء ودفنوه في الغابة الكبيرة » .

عندما يشعل العربي النار في الغابة ، يشتعل الطالب حماسا وسعادة . ويشاركه العملية . انه لا يطلب النجدة . سواء استصرخ رجال المطافىء ، ولكن بعد فوات الاوان . ومع الفجر يسير بطل القصة على آثار الحريق . ورويدا رويدا تظهر خلال الدخان والضباب القرية العربية الصغيرة ، « تولد من جديد كالرسم التجريدي وككل ماض زال » ... يقول عزريا الون صاحب « الاسرائيليون » : من الواضح ان الغابة ترمز الى المجتمع الاسرائيلي الجديد الذي قام على أنقاض مجتمع آخر . ويقول المؤلف في حديث صحفي ان قصته ليست ايديولوجية ولكنها وصف وضع قائم في البلاد ، حيث أقيم شيء على أنقاض شيء آخر . ثمة احساس بالاثم .

تجد بعض النماذج من تجلي الاحساس بالاثم في الادب العبري الحديث لدى تناول موضوع بناء المجتمع الاسرائيلي والصراع على وطن واحد بين الاسرائيليين والعرب . ولكنه احساس بالاثم صادر عن الثقة بالنفس . انه نوع من أنواع اعترافات القوي في حالة مزج انساني . يمزج قوته وانتصاره بشيء من مسحوق الليبرالية والانسانية بعد فوات الأوان وانتهاء المذبحة . ولكنه ليس في أي حال من الاحوال تعبيرا عن توبة أو ندم . انه شديد الشبه بمحاورات القاتل الداخلية بعد اتمام العملية . فالاديب الامريكي مثلا يصور مأساة الهنود الحمر ويبدي بعض العطف عليهم .

يستغرب كاتب اسرائيلي غياب ظاهرة حساب النفس والاحساس بالاثم لدى الطرف العربي . وهذا الاستغراب ، بحد ذاته ، دليل على الرغبة في عقد المساواة بين القاتل والضحية . يطالبهما بالجلوس والبكاء على التعاسة المشتركة : تعاسة المنتصر الذي كسب وطنا ولم يسلم من ارتكاب الظلم ، وتعاسة المهزوم الذي خسر وطنا ويطلب عدالة المعاملة ممن أخذ وطنه . كيف يحاسب العربي نفسه ؟ وكيف يشعر بالاثم ؟ ان هذه